

مجلة أنثروبولوجية (الأوبان) المجلد 21 العدد 01 2025/01/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تحولات الحقل الديني في جزائر ما بعد الإستقلال

ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر: دراسة موضوعاتية من خلال أعداد مجلة الأصالة

Transformations of the religious field in post-independence
Algeria

Islamic Thought Forums in Algeria :A Thematic Study through the
issues of the Journal of Authenticity

فريد مركاتش¹

merkachdz@gmail.com

¹ باحث دائم المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الإجتماعية و الثقافية CRASC

جامعة وهران 2-الجزائر-

د. علي طيب إبراهيم²

² جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم-الجزائر-

t.alidz@gmail.com

تاريخ القبول: 2024/11/23.

تاريخ الاستلام: 2024/10/23

ملخص :

سأعرض في هذا المقال للتحويلات التي طرأت على الحقل الديني في جزائر ما بعد الإستقلال، من خلال رصد شكل المعرفة الدينية التي أنتجتها ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر، و سأركز على الفترة ما بين 1970 و 1990 ، وهي الفترة التي نشرت فيها أعمال الملتقيات في أعداد مفردة مجلة الأصالة التي كانت تصدرها وزارة الشؤون الدينية. سأطرح في هذا المقال أن هذه الملتقيات قد أنتجت معرفة دينية وطنية، لفائدة دولة فتية كانت تبحث عن استرجاع هويتها. وفي نفس الوقت معرفة دينية تقدمية بمعنى أنها كانت تريد أن تكون هذه المعرفة متوافقة مع مشروع الدولة التحديثي للمجتمع في سبعينيات القرن الماضي، الذي كان يراد له أن يصنع دولة حديثة صناعية وتقدمية. وفي الأخير كانت هذه المعرفة توافقية، و هذه الخاصية تجد أصلها في طبيعة إيديولوجية الدولة يعقوبية التي كانت تتوجس من الاختلافات. الكلمات المفتاحية: الدين - الفكر -الجزائر -المجلة

* المؤلف المرسل: مركاتش فريد. الإيميل : merkachdz@gmail.com

Abstract :

abstract In this article ,I will examine the changes in the religious field in post-independence Algeria by examining the form of religious knowledge produced by the Forums of Islamic Thought in Algeria ,focusing on the period between 1970 and 1990 ,when the work of the Forums was published in single issues of Al-Asala ,the magazine published by the Ministry of Religious Affairs.

I will argue that these gatherings produced a national religious knowledge for a young country that was looking to reclaim its identity .At the same time ,it produced a progressive religious knowledge in the sense that it wanted this knowledge to be compatible with the state's modernisation project in the 1970s ,which was intended to create a modern , industrialised and progressive state .In the end ,this knowledge was consensual ,and this characteristic finds its origin in the nature of the Jacobin state's ideology ,which was obsessed with differences.

Keywords: Religion - Thought - Algeria - Magazine.

المتن:

مقدمة:

: لظالما شهد الحقل الديني الجزائري حراكًا وتحولات كثيرة في تاريخه، ولا سيما في العصر الحديث أثناء الاستعمار وبعده. صحيح أن الحقل الديني الجزائري له خصوصياته الثابتة وتقاليد الراسخة المتوارثة عبر أجيال من العلماء والأئمة؛ تقاليد صُنعت ورُسخت على مدى قرون من الزمن، فتبلور ما أصبح يعرف بثوابت العقيدة الأشعرية في الأصول، وطريقة الجنيد السالك في مجال السير والسلوك والتصوف، وقراءة الإمام ورش. إلا أن هذا التشبث والالتزام بالتوابت لم يمنع النخب الدينية الجزائرية من التفاعل مع ما كان يستجد على الساحة الإسلامية، على امتداد رقعتها وتنوع توجهاتها، وهي ساحة كانت هي الأخرى تعرف حراكًا عميقًا وتغيرات جذرية بفعل عوامل عدة، من أبرزها الصدام مع الآخر الغربي في صورة الاستعمار بمختلف أشكاله.

إن النخب الدينية الجزائرية بشكل خاص، وكل النخب بشكل عام، وهي تواجه التحديات الجديدة التي فُرِضت على الجزائريين كأمة، كانت دائمًا متيقظة ومهتمة بكل ما يمكن أن تستفيد منه من أفكار ومبادرات في العالم الإسلامي. ولا أدل على ذلك من تفاعلها مع تيار الإصلاح الديني الذي ظهر

في المشرق العربي مع كل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده. ويُذكر في هذا الصدد أن الشيخ محمد عبده قام بزيارة للجزائر سنة 1903 بدعوة من مجموعة من الأعيان الجزائريين في الجزائر العاصمة.

إن هذه النخبة الدينية الجزائرية، التي أنتجها هذا السياق التاريخي الخاص، والتي اشتركت مع النخب الجزائرية الأخرى بمختلف توجهاتها ومشاربها، كان لها بعد مرحلة الاستقلال مشروعها للدولة الجزائرية الفتية. كان هذا المشروع على مستوى شكل المجتمع وهويته، وهو مشروع ثقافي ديني في المقام الأول. وقد جاءت فكرة ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر لتعبر عن هذه الآراء، وتبرز الجانب الهوياتي الإسلامي للشخصية الجزائرية، وتهدف إلى بناء مجتمع متوافق مع هذا التوجه.

أولاً: إطار الدراسة: هذا النص حصيلة للمحور بحثي حول ملتقيات الفكر الإسلامي من خلال أعداد مجلة الأصالة ضمن المشروع البحثي حول المعرفة الدينية وقضايا الراهن: إنتاج مؤسسات الدراسات الإسلامية في الجزائر اجري تحت إشراف الأستاذ عروس الزبير بمركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية.

لقد كانت انطلاقة هذه الملتقيات حين نظمت مجموعة من الشباب الجزائريين المثقفين الذين يمزجون بين الفكر والثقافة والدين ملتقى سنة 1968 بالجزائر العاصمة، والذي اتسم بالتوجه الديني. تمت دعوة عدد من المشاركين من داخل الوطن وخارجه، حاملين غالباً خلفية إسلامية وإصلاحية، أبرزهم المفكر الإسلامي المشهور مالك بن نبي من الجزائر، ومحمد أبو زهرة من الخارج. وبفضل تنوع خلفياتهم، تناول الملتقى عدة إشكاليات تتعلق بواقع المسلمين المعاصر والتحديات التي تواجههم على المستويات الفكرية والاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية.

لم يتوقع منظمو هذا الملتقى الأول، أنهم أطلقوا لسلسلة ، ستستمر 22 سنة من دون انقطاع، أي من سنة 1968 إلى تاريخ آخر ملتقى سنة 1990 بالجزائر العاصمة، وهي ملتقيات ستشكل حدثاً بارزاً ليس على مستوى الجزائر فقط، وإنما على مستوى العالم الإسلامي ككل. كما لم يتوقعوا أنها ستترك أثراً بارزاً على جيل كامل من النخبة المتدينة بالجزائر، بنشرها لثقافة دينية إسلامية ستعرف فيما بعد بفكر الصحوة الإسلامية*.

تميزت ملتقيات الفكر الإسلامي بمشاركة كثيفة للنخبة الإسلامية من مختلف أقطار العالم الإسلامي، و حتى من خارجه فقد عرفت مشاركة متدخلين فيه من حوالي خمسين دولة نعد منها على سبيل الذكر لا الحصر مصر، المغرب، نيجيريا، ايران، فرنسا و الهند .

كما تميزت هذه الملتقيات بالتعددية الدينية و المذهبية للمشاركين فيها. فقد شارك في الملتقيات متدخلين ينتمون للمذهب الإباضي، الشيعي الإثني عشري و السني على اختلاف مذاهبه الفقهية من شافعية ومالكية و حنابلة و أحناف.

لم تنظم الملتقيات في مكان واحد بل حرص المنظمون على اجراءها في عدة مدن جزائرية فقد نظمت الملتقيات في كل من قسنطينة، الجزائر العاصمة، وهران، تلمسان، معسكر، تمنراست و غيرها، و هو ما أعطاها زخما أكيدا.

التزم المنظمون للملتقيات بمجموعة من المحاور العامة للتطرق إليها، و كان على المتدخلين الإلتزام بها. كما فتح المجال للمناقشات و التعقيبات بعد المحاضرات.

1 تحديد ميدان الدراسة: تم تحديد ميدان الدراسة بالتنسيق مع مدير المشروع على يكون ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر من سنة 1968 إلى سنة 1990 من خلال المحاضرات المنشورة في مجلة الإصالة التابعة لوزارة الشؤون الدينية و الأوقاف. ووجب التذكير في هذا أن طبع و نشر محاضرات ملتقيات الفكر الإسلامي لم تبدأ إلا مع الملتقى الرابع، و عليه فالملتقيات الثلاثة الأولى لازالت أرشيفا غير مطبوع.

أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول.

2المقاربة المنهجية المتبناة للدراسة :

لدراسة موضوعنا هذا اخترنا أولا القيام بدراسة موضوعاتية لمئن الملتقيات المنشور كما ذكرنا آنفا بمجلة الأصالة الإسلامية. و المقاربة الموضوعاتية تقنية من تقنيات تحليل المضمون تنتمي للمقاربة الكيفية في العلوم الاجتماعية و تقوم على جرد كل المتن Corpus المراد دراسته و استخراج مجموعة من المواضيع و

المحاور ذات معنى لموضوعة الدراسة و ذات نجاعة علمية قصد الوصول لمعرفة أفضل للمتن المراد دراسته (Paillé & Mucchielli, 2012, P 97).

أما في المقام الثاني فقامت بدراسة السياق الاجتماعي، الديني، الثقافي و السياسي الذي جرت فيه ملتقيات الفكر من بدايتها سنة 1968 إلى سنة 1990 و هو حتما سياق عرفا تحولا كبيرا، و غرضنا من هذا هو معرفة تأثير هذا السياق على مواضيع الملتقى.

و في المقام الثالث حاولت دراسة تأثير السلطة السياسية على مجريات الملتقى .

ثانيا: سياق تنظيم الملتقيات :

إن كل المختصين في تاريخ المجتمعات المغاربية بشكل عام و المجتمع الجزائري بشكل خاص يدركون عنصرا مهما ألا و هو أهمية الدين في المجتمعات المغاربية و مركزيته و دوره في صنع أحداث المنطقة المغاربية (Gellner et al., 1981, 12). و لعل أول من أعطانا تحليلا علميا لأهمية الدين كضابط اجتماعي و كإطار إيديولوجي هو عبد الرحمن ابن خلدون في المقدمة. ابن خلدون وضح بشكل علمي دور الدين المكمل لدور العصبية في بناء دول المغرب القروسطي .

استمرت هذه الحركية كما وصفها ابن خلدون في المغرب الأقصى , أما في الجزائر فحدثت قطيعة مع احتلال الأسبان للسواحل الجزائرية و استنجد الجزائريون بالأتراك الذين قضوا على آخر الدول ذات النموذج القروسطي في الجزائر وهي دولة الزيانيين. و ضل الإسلام يلعب نفس الدور المركزي في المجتمع من خلال تبرير سلطة العثمانيين كحماة لثغور الإسلام و رافعي راية الجهاد في وجه القوات الغازية كما ضل الإسلام يلعب دور المهيكل للمجتمع و الضابط للعلاقات الاجتماعية من خلال مؤسسة الزاوية الدينية التي كانت تلعب دور المدرسة و المشفى و المحكمة.

استمر هذا الوضع إلى سنة 1830 سنة استعمار الجزائر من طرف فرنسا هنا لعبت مؤسسة الزاوية دورا إضافيا إلى جانب أدوارها التقليدية و هو مقاومة الاستعمار الخارجي و يمكن أن نذكر كمثال في هذا الصدد مقاومة الأمير عبد القادر و المقاومات الأخرى التي قادها شيوخ الزوايا المختلفة.

لمواجهة المقاومات الشعبية من جهة و لتحقيق أهداف الاستعمار من جهة أخرى و هو تمكين الاستعمار من الأراضي التي كانت تعيش عليها القبائل الجزائرية انتهجت فرنسا سياسة عنيفة جدا تجاه المجتمع الجزائري و هي سياسة التهجير و إعادة تجميع السكان (Bourdieu, 2000, P 54). بهذه السياسة ضربت

فرنسا المجتمع الجزائري في عمق بنيته الاجتماعية و غيرت معالمة. أدت هذه السياسية إلى بروز المجتمع الجزائري الحديث فمن هذا التاريخ بدأ المجتمع الجزائري يحتك مع مفردات الحداثة و لكن بشكل قسري (Guerid, 2007, P 18). تراجع دور الزاوية التعليمي و القضائي كما لم تعد مرجعية للمقاومة بعدما ضرب النظام الاجتماعي الذي تركز عليه . مع هذه التحولات برزت نخب جديدة في المجتمع غير مرتبطة بمؤسسة الزاوية كما تغير دور الدين بحيث أصبح يمثل - بعد مرور 100 سنة على الاحتلال - دور الحامي و الحارس لهوية المجتمع المهددة بسياسات الإدماج الاستعمارية.

كل هذه التغيرات أدت إلى ظهور طبقة متمدنة في المجتمع الجزائري فقدت ارتباطها بالمؤسسات الدينية التقليدية و أصبحت بذلك جاهزة لتلقي و حمل خطاب ديني جديد من نخبة جديدة , فكانت نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمبادرة من الشيخ عبد الحميد بن باديس لتعبر عن هذا التحول و تصاحبه. تأسست جمعية العلماء في هذا السياق الخاص و المتأزم فبدأت تقوم بأدوار متعددة منها إعادة هيكلة الحقل الديني الجزائري بواسطة التعليم و الوعظ في المساجد لمجاهة الطرق الصوفية, و الدفاع عن هوية المجتمع المهددة.

لقد بدأت إرهابيات الحركة الإسلامية تظهر في الجزائر منذ زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر سنة 1903. إذ تركت هذه الزيارة أثرا كبيرا على عدد من المثقفين المسلمين الجزائريين الذين اقتنعوا تماما بأفكار الإصلاح كما طرحت في المشرق و لكن لم يتطور الأمر في تلك الفترة إلى أكثر من مجموعة من المثقفين المتحمسين لأفكار الإصلاح و هذا لان السياق الاجتماعي لم يكن مواتيا بعد (Merad, 1967, 11).

بعد هذا التاريخ بدأ تأثير مدرسة المنار يتعمق و يكسب مزيدا من المثقفين الجزائريين خصوصا و بشكل أساسي ممن درسوا في الزيتونة و الأزهر و دمشق , و لكن لم يوجد أي تنسيق بينهم آنذاك.

يقول علي مراد " طغى على تاريخ الجزائر في الفترة ما بين الحربين العالميتين الأولى و الثانية ظاهرتين اجتماعيتين ذات مدى اجتماعي و ثقافي و سياسي هائل ,

(1) استيقاظ الوعي الشعبي المسلم إزاء المشاكل السياسية الجزائرية ,

(2) ب (بروز و تطور حركة إصلاحية مسلمة ذات تأثير مشرقى (Merad, 1967, P

28). هاتين الظاهرتين اللتين تحدث عنهما علي مراد لم تكن لتوجدا لولا التغيرات الهيكلية

التي أصابت المجتمع الجزائري في عمقه و غيرته إلى الأبد و أدخلته إلى الحداثة عنوة و بشكل قسري.

بعد الحرب العالمية الأولى أصبحت الظروف مواتية لميلاد حركة إصلاحية إسلامية تحضى بشيء من النجاح على المستوى الشعبي , و فعلا في سنة 1924 زار الشيخ ابن باديس الشيخ الإبراهيمي في بيته بمدينة سطيف لي طرح عليه فكرة عمل منظم و منسق في إطار تنظيمي لنشر أفكار الإصلاح و في السنوات الموالية اي سنة 1925 أنشئت مجلة المنتقد و كانت هذه الخطوة هي البداية الحقيقية و الفعلية للعمل التنظيمي لحركة الإصلاح.

تاريخ 5 ماي 1931 كان تاريخ إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد مخاض أفكار جرت ساحتها على صفحات مجلة البصائر .

تمحورت أهداف و نشاط جمعية العلماء حول كيفية النهوض بالأمة الجزائرية و تخليصها من التخلف الذي كانت فيه. و شخّصت أسباب هذا التخلف في البدع و الخرافات التي كانت تشهها الزوايا , الأمر الذي ابعده المجتمع عن الإسلام الصحيح , و بالتالي الإصلاح هو محاربة هذه البدع التي علقت بالإسلام . و من ثم كانت أكبر جبهة خاضتها جمعية العلماء هي الجبهة التي خاضتها أمام الطرق الصوفية التي كانت تهيمن على الحقل الديني . فبدأ صراع على هذا الحقل خسرت فيه الطرق الصوفية الكثير من تأثيرها خصوصا في المدن بينما حافظت على شيء من نفوذها في المناطق الريفية و الغرب الجزائري ماعدا مدينة تلمسان حيث كان نشاط جمعية العلماء فيها لافتا.

خاضت جمعية العلماء معركة أخرى هي معركة الدفاع عن العربية و نشرها على أساس أنها تمثل إحدى ركائز الهوية الجزائرية المهددة بالاضمحلال. هذه المعركة خاضتها ضد طرفين : الطرف الأول تمثل في الاستعمار الذي كان يعمل كل شيء لاستبدال العربية بالفرنسية لغة للجزائريين في سبيل تحقيق ما كان يدعوه بالحملة الفكرية للمجتمع الجزائري و الطرف الثاني فئة من المثقفين الجزائريين الذي تعلموا بالفرنسية و حملوا أفكارها و لهذا اتخذت الجمعية من تدريس العربية و نشرها أولوية قصوى بالنسبة لها.

طبيعة هذه الأهداف التي سطرها الجمعية لنفسها جعل طابعها لا سياسيا , و لم تفرض السياسة نفسها على الجمعية إلا مع نهاية الحرب العالمية الثانية و تسارع الأحداث خصوصا بعد مجازر 8 ماي 1945 و ما تركته من أثر عميق على الحركة الوطنية الجزائرية. و اندلاع الثورة أين انخرطت الجمعية في

صفوفها متأخرة سنة 1958 مما جعلها في وضع ضعيف في داخلها و بالتالي ضعيف في رسم مشروع مجتمع مابعد التحرير .

الأثر الأكبر و الأهم الذي تركته جمعية العلماء هو ذلك التحول العميق الذي أحدثته في الحقل الديني الجزائري الذي كانت تهيمن عليه الطرق الصوفية و التدين الشعبي بتكوينها لفئات اجتماعية متفاعلة مع الخطاب الإسلامي المدرسي الإصلاحي هذا التحول الذي سيلعب دورا مهما في جزائر ما بعد الاستقلال.

كما سبق و أن أسلفنا خرج تيار الإصلاح ضعيفا من الحرب التحريرية بسبب تأخر انضمامه لها و الأهم لان الثورة و نخبتها خرجت و تشكلت داخل التيار المعارض لحركة الإصلاح أثناء الاستعمار. هذا الموقف جعل موقف التيار الإصلاحي ضعيفا للغاية في مواجهة المشروع التحديثي , الاقتصادي و الاجتماعي الذي رسمته القيادة الجديدة للجزائر لا بل وصل الأمر إلى حد الانقسام ما بين تيار مؤيد للسلطة الجديدة أوكلت إليه مهام التعليم و إدارة الأوقاف و الشؤون الدينية و تيار معارض للسلطة اتخذ من شخص البشير الإبراهيمي رمزا له إلى جانب شخصيات أخرى كسحنون و سلطاني(الزبير، عروس, 2006).

وجه الشيخ الإبراهيمي رسالة إلى الرئيس الذي عينته قيادة الثورة بتاريخ 16/08/1962 ينتقد فيها التوجهات الجديدة للسلطة الأمر الذي كلفه إقامة جبرية . بعد رسالة الشيخ الإبراهيمي جاء دور لجنة الثقافة الإسلامية لترسل رسالة إلى المكتب السياسي لجهة التحرير تحضه فيها على الاهتمام باللغة العربية و الإسلام. ثم نداء الشيخ الإبراهيمي و عبد اللطيف سلطاني و عمر العرباوي تحت تسمية علماء الإسلام و العربية يحذرون فيه الشعب الجزائري من مطالب فيدرالية فرنسا بإقامة دولة علمانية(الزبير، عروس, 1991/1992 ص 12).

كردة فعل على كل هذا اتجهت السلطة للدفاع عن مشروعها و توجهاتها بتبريره دينيا و توضيح أن لا تناقض ما بين التوجه الاشتراكي و الإسلام من خلال تجنيد المساجد و خطب الجمعة.

انتهى هذا السجال إلى تأسيس جمعية دينية إصلاحية جمعت ما بين رموز الإصلاح المعارضين لمشروع السلطة الجديدة . فكان تأسيس جمعية القيم سنة 1963 بمبادرة من الهاشمي تيجاني , زهير احداون , عبد اللطيف سلطاني و آخرون. يرى الدكتور الزبير عروس أن نخبة الجمعية اتسمت بالتباين ما بين جناحين فيها : جناح قاداته شخصيات مزدوجة اللغة و التكوين كانت تريد التركيز على الطابع الحضاري و التعليمي

و التثقيفي للجمعية و جناح آخر أحادي اللغة و التعليم أقحم الجمعية و بشكل متسرع قبل النضوج في السجلات السياسية التي قضت عليه . من ابرز هؤلاء عبد اللطيف سلطاني و شخص آخر سيكون له دور كبير في الحركة الإسلامية فيما بعد هو عباسي مدني الذي لم يخرج من تيار الإصلاح ولكن خرج من التيار الوطني.

باشرت الجمعية نشاطها متخذة من نادي الترقى مقرا لها مستفيدة من رمزية المكان إلى جانب مسجد بلكورو القصبة كما أصدرت مجلة شهرية تحت عنوان التهذيب الإسلامي تهتم بدراسة المشاكل الاجتماعية و السياسية و الثقافية التي تم الجزائر و العالم الإسلامي. سنة 1965 أرسلت الجمعية رسالة إلى جمال عبد الناصر تطالبه فيها بالإفراج عن منظر الحركة الإسلامي سيد قطب. هذه الخطوة شكلت تبريرا كافيا لكي تقدم السلطات على حل جمعية أزعجت كثيرا. و لكن نشاط الجمعية تواصل مع مجلة التهذيب و تركز حول محاربة الانحلال الأخلاقي و الاستهتار بالدين و الدفاع عن اللغة العربية.

رد فعل السلطة تمثل في إنشاء اللجنة الوطنية لإصلاح المجتمع لسحب البساط من تحت أقدام الجمعية و لكن نشاط الحركة الإسلامية لم يتوقف بل توسع ليشمل ميادين لم يصل إليها من قبل من هذه الميادين الجامعة التي اتخذها مالك بن نبي بعد استقالته من منصب مدير التعليم سنة 1976 ميدانا لنشاطه الفكري إذ كان يقول اقبلوا جحرا في الجامعة و لا تقبلوا قصرا خارجها(الزبير، عروس، 1991/1992 ص 08). هذا التطور اللافت أعطى للحركة الإسلامية حركة جديدة و نفسا جديدا لم تكن تتمتع به من قبل . هذا التطور فتح للحركة أفقا جديدة للحشد و التعبئة في أوساط لم تصل إليها من قبل عندما كانت تحصر نشاطها على المساجد و النوادي الثقافية المرتبطة بالجمعيات الدينية التي كانت تؤسسها . هذه الأوساط هي الطلبة و المثقفين الجامعيين , بدأ هذا النشاط في شكل ندوات و محاضرات كان يلقيها المفكر مالك بن نبي في مسجد الجامعة الذي أسسه هو بنفسه. كما كان يحضر هذه المحاضرات جمهور متعدد في الخلفيات الفكرية و القناعات السياسية و في اللغة و لكن القاسم المشترك بينهم كان في شعور معين بتحد حضاري يواجههم و في التوفيق ما بين الإسلام كتراث و حضارة و دين و متطلبات العصر الحديث , بتعبير آخر كيف يمكن تحقيق النهضة المنشودة من دون المساس بالخصوصية الحضارية و الثقافية للمجتمع و لأهم مكون فيها ألا و هو الإسلام. تجدر الإشارة هنا إلى أن الطلبة المنتسبين إلى الفروع العلمية و

الطلبة المفرنسين كانوا السابقين إلى التفاعل مع هذا التوجه بينما ضلت التخصصات الأدبية وفيه اليسار. (Roy, 1992, P 88)

في هذه المرحلة بدأ الصراع داخل الجامعة التي كانت تمتلئ بالتيارات الفكرية المتصارعة من يسارية و قومية و إسلامية . هذا الصراع و الاحتكاك مع الفئات الأخرى شكل ما يمكن أن نطلق عليه التنشئة بالصراع أي أن الصراع الذي دار ما بين الإسلاميين و اليساريين بشكل خاص مكن الإسلاميين من تطوير خطابهم و طريقة عملهم و أشكال تنظيمهم وأساليب التحشيد لديهم و لعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن الإسلاميين أخذوا الكثير من أفكارهم من اليساريين باحتكاكهم بهم.

استمر نشاط نخبة الحركة الإسلامية إذ أطلقت آنذاك ما عرف بملتقيات الفكر الإسلامي بتاريخ 10/06/67 بإشراف مالك بن نبي و لكن السلطات و خوفا من الحركية التي بدأت تنشأ قررت أن تقوم بالإشراف على المبادرة عبر تمويلها و دعوة المفكرين إليها و هذه الخطوة أدت إلى مد الحركة الإسلامية الصاعدة بالمزيد من الدعم عبر التكوين و إثراء التجربة الذي أتاحه حضور وجوه بارزة من قادة و منطري الحركة الإسلامية العالمية إلى هذه الملتقيات .

بعد وفاة الرئيس هواري بومدين سنة 1978 و انتقال الحكم إلى شخصية أخرى بدأ فصل جديد من تاريخ الحركة الإسلامية في الجزائر , هذا التغير لم يقف عند تغير في رأس الدولة فقط و إنما شكل البداية لمجموعة من التحولات و الإصلاحات التي أدخلتها السلطة الجديدة على طريقة تسيير البلاد و لعل ابرز هذه التحولات هو بعض الانفتاح السياسي و إرخاء القبضة الحديدية عن المجتمع المدني , و أول من استفاد من هذه السياسة و اتخذها فرصة لتنمية مواقعه داخل المجتمع كانت الحركة الإسلامية . و فعلا احتدم الصراع في الجامعة بين الإسلاميين و اليساريين أدى إلى صراع عنيف جدا في نوفمبر من سنة 1982 حول السيطرة على اللجان الطلابية الأمر الذي قاد السلطات إلى غلق المسجد مما أدى الى مظاهرة ضخمة شاركت فيها كل جماعات الحركة الإسلامية أدى بالسلطات إلى التراجع . كما ظهرت القوة المتصاعدة للحركة الإسلامية مجددا مع الإعداد لقانون الأسرة سنة 1984 ابتداء من هذا التاريخ بدا جليا أن الحركة الإسلامية بمكوناتها أصبحت تشكل لاعبا أساسيا على الساحة العامة في الجزائر و أنها حاضرة لاستغلال أي ضعف و تضعف في صفوف السلطة سلطة جبهة التحرير الوطني المتأزمة بسبب الأزمة الاقتصادية الخانقة و تضعف الإيديولوجية الثورية و محدودية التركة الثورية في تبرير حكم نخبة جبهة

التحرير و كان ذلك سنة 1988 مع المظاهرات العارمة و الكبيرة التي شهدتها الجزائر في 05/10/1988 و التي أدت إلى اختيار نظام الحزب الواحد و الدولة ذات الخيار الاشتراكي نهائيا و فتح المجال للتعددية السياسية وأول من استفاد من هذه التعددية كانت الحركة الإسلامية التي اكتسحت المجال السياسي و بفوزها بأول انتخابات تعددية تجري في تاريخ الجزائر المستقلة. (Charef, 1995, P 386)

ثالثا: دراسة تأثير هذه الملتقيات على الحقل الديني الجزائري.

يمكننا أن نقسم تنظيم ملتقيات الفكر الإسلامي إلى ثلاثة مراحل عامة من ناحية التسلسل الزمني، مرحلة التأسيس الأولى، المرحلة التي ترأس فيها وزير الشؤون الدينية مولود قاسم تنظيم الملتقيات، و في الأخير مرحلة ما بعد مولود قاسم من سنة 1979 إلى توقف الملتقيات سنة 1990.

1 المرحلة الأولى : يبدو أن فكرة تنظيم ملتقيات الفكر الإسلامي جاءت بمبادرة من مجموعة من الطلبة الشباب الذين كانوا يحضرون حلقات دروس المفكر مالك بن نبي و هو ما أشار إليه الدكتور أبو القاسم سعد الله في مقدمته على كتاب: مالك بن نبي عصره، حياته و نظريته في الحضارة (بريون، فوزية، 2010). انعقد الملتقى الأول يثانوية عمارة رشيد بين عكنون، و الملتقى الثاني كان بمدرسة مفتاح لتكوين الإطارات الدينية، فيما نظم الملتقى الثالث بمدرسة المعلمين ببوزريعة بالجزائر العاصمة، و قد كان الحضور و عدد المشاركين محدودا في هذه المرحلة

2 المرحلة الثانية هي المرحلة التي كان فيها مولود قاسم مشرفا على تنظيم الملتقيات من سنة 1970 إلى سنة 1979.

طرح بعض من كتب حول ملتقيات الفكر الإسلامي أن السلطات الرسمية تبنت هذه الملتقيات من الناحية التنظيمية ابتداء من هذه المرحلة لتقطع الطريق على النخب الحركية الإسلامية التي كانت تعارضها و تعارض توجهها الإيديولوجي و سياستها الثقافية و التربوية، و لتقدم نفسها على أنها متبينة للإسلام و لتعاليمه أمام المجتمع. و لكنهم أغفلوا أن الملتقيات الثلاثة الأولى، هي الأخرى كانت من تنظيم وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية و بحضور الوزير. كما حضى الملتقى بتغطية إعلامية من طرف الجريدة الرسمية آنذاك و هي جريدة المجاهد الناطقة بالفرنسية و كتبت حوصلة حول نشاطات و محاضرات الملتقيات الثلاثة الأولى.

هذا اضافة لافتراضهم أن الدولة كانت تحمل ايدولوجية إن لم نقل معارضة لفهم النخب الجزائرية المتدينة للإسلام، أو كانت على الأقل غير مهتمة بالقضايا التي كانت تبناها هذه النخب، و ذلك

بسبب التوجه الإشتراكي الذي كانت تتبناه، يخالف هذا الطرح الدراسات التي اهتمت بعلاقة الدولة الجزائرية بالإسلام (Fregosi, 1992, P 18)

لعبت شخصية مولود قاسم دورا بارزا في هذه المرحلة فقد كان يتقلد منصب وزير التعليم الأصلي و الشؤون الدينية عشرية من الزمن إلى سنة 1979 و هي مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر على كل الأصعدة، كما كان مكلفا بتعميم استعمال اللغة العربية. كان مولود قاسم من النخب التي كانت تناضل من أجل استعادة الهوية الجزائرية "الأصيلة" و هي الإسلام و العربية و التموقع في الفضاء العربي الإسلامي، و كان يتصور أن الثورة الثقافية التي جاءت في الميثاق الوطني، هي في الحقيقة تواجه استلاب الثقافة "الأصلية" من طرف الاستعمار الفرنسي.

طغت في هذه المرحلة مواضيع الهوية و اللغة و التاريخ و تمجيد الإسلام و التاريخ الإسلامي على محاضرات المشاركين.

3 المرحلة الثالثة: و هي مرحلة ما بعد مولود قاسم من سنة 1979 الى سنة 1990 تاريخ آخر ملتقى. تميزت هذه المرحلة بالمشاركة الكثيفة لرموز الصحوة الإسلامية و هيمنتهم على مجريات الملتقيات و على رأسهم الشيخ الغزالي و الشيخ القرضاوي و أبو الحسن الندوي و لعل هذا راجع طبيعة المرحلة التي بزغ فيها نشاط الإسلام الحركي في العالم الإسلامي و لاسيما بعد الثورة الإيرانية سنة 1979.

3. رابعا: **المواضيع الرئيسية لملتقيات الفكر الإسلامي :**

توصلت من خلال جرد محاضرات الملتقيات محل الدراسة، إلى انتخاب مجموعة من المواضيع المعالجة و ذات المعنى لبحثنا و جدير بالذكر في هذا الصدد، أن المنظمين للملتقيات قد اهتموا بكل ما له علاقة بالإسلام، و لم يحصروا أنفسهم في مواضيع معينة، و لذلك جاءت المحاضرات متنوعة جدا من حيث المحاور المتناولة، فشملت الإسلام الحضاري، الإسلام الشعائري، الإسلام الروحي، الإسلام الفكري و الإسلام الحركي ...

بعد الجرد الأولي لكل محاضرات ملتقيات الفكر الإسلامي، انتخبت المواضيع التالية: أوضاع المسلمين في العالم، قضايا التجديد الديني، قضايا الأسرة و المرأة و الشباب، التاريخ الإسلامي، تمجيد الإسلام Apologie de l'islam، الدفاع عن الإسلام و قضايا الهوية و ما يرتبط بها و لاسيما اللغة العربية.

1 أوضاع المسلمين: تمحورت مجموعة كبيرة من من محاضرات حول هذا الموضوع الواسع. يتميز هذا الموضوع

أنه يعزز من شعور الانتماء للفضاء الحضاري الإسلامي، فلا شيء أدل على هذا الانتماء من الإهتمام يشؤون المسلمين اينما وجدوا في العالم. كما أنه موضوع مهم جدا بالنسبة للنخب الإسلامية التي كانت تدعو لتجاوز الهويات القطرية "الضيقة" و الانفتاح على الانتماء للفضاء "العربي- الإسلامي" الواسع.

2 قضايا التجديد الديني: اكتست قضايا التجديد الديني أهمية بالغة، فقد جاءت عشرات المحاضرات في اطار هذا المحور. لكن هناك مسألة لا بد من التطرق لها، و هي: نظرا لتعدد المشارب و الخلفيات الفكرية للمشاركين في المنتقيات فقد انقسم المحاضرون ازاء هذا الموضوع إلى قسمين، قسم و هم الممثلون للنخب الحداثية المسلمة كمحمد اركون، و التي طرحت قضايا التجديد كما يطرحها رموز الحداثة العربية في عصرنا*. و قسم و غالبيتهم من الفقهاء و المفكرين الإسلاميين، و التجديد بالنسبة لهم كان يقف عند انتقاد لموروث التقليدي الذي شوه الإسلام في نظرهم. و هو نفس تصور حركة الإصلاح للتجديد الديني.

3 قضايا الهوية : كما سبق و ن اسلفنا لطالما وجدت نخبة جزائرية أثناء الإستعمار و بعده كانت ترى أن أهم تحد بالنسبة للمجتمع الجزائري هو تحدي استرجاع الهوية المتمثلة في ثنائية الإسلام و العربية، و تعتبر جمعية العلماء ممثلا الأهم، و قد جاءت المحاضرات المرتبطة بهذا الموضوع لتؤكد على هذه الثنائية، ولاسيما عنصر اللغة العربية و تعميم استعمالها.

4 قضايا الأسرة و المرأة و الشباب: لطالما شكلت مواضيع الأسرة و المرأة و الشباب نقاط خلاف و صراع في المجتمعات الإسلامية، فهي مواضيع تخص العمق الانثروبولوجي لهذه المجتمعات. رأت النخب الإسلامية المتدينة أن المجتمعات الإسلامية تواجه هجمة غربية و تعديا على هذه العناصر التي تشكل ركائز لها. كما تشكل الحيز الذي فصل فيه الفقه أحكامه بشكل كبير جدا.

5 التاريخ الإسلامي: للتاريخ أهمية بالغة بالنسبة للمجتمعات و تزداد أهميته بالنسبة للمجتمع الجزائري الذي كان قد خرج لتوه من ثورة تحريرية ضد استعمار استطاني، مجتمع يبحث عن هويته ووجهته، ولهذا حرص كل من المنظمين و المشاركين على ابراز العمق التاريخي للتاريخي للجزائر و علاقته بالفضاء الحضاري لإسلامي، و هو ما جاء واضحا في محاضرات المهدي بوعبدلي و أحمد التوفيق المدني.

6 موضوع تمجيد الإسلام و الدفاع عنه: و يعتبر موضوعا طاعيا بارزا و و قد حظي بأهمية بارزة لدى المحاضرين بشكل خاص، و تعود أهميته لارتباطه باحتكاك المجتمعات الإسلامية بالمجتمعات الغربية، بالتالي

الوعي بحجم التخلف عن مستوى تطور الغرب المسيحي على العالم الإسلامي. فعمد المفكرون الإسلاميون إلى الفصل ما بين الإسلام التاريخي و الإسلام المطلق. و عليه انصب عملهم على الدفاع عن الإسلام المطلق و تمجيده.

خامسا :ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر و محاولة صياغة معرفة دينية وطنية، تقديمية و توافقية

سأعرض فيما يلي لنوع المعرفة الدينية التي أنتجتها ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر، و سأركز على الفترة ما بين 1970 و 1990، وهي الفترة التي نشرت فيها أعمال الملتقيات في أعداد مفردة مجلة الأصاله التي كانت تصدرها وزارة الشؤون الدينية. يتمثل طرحي في أن هذه الملتقيات قد أنتجت معرفة دينية وطنية، لفائدة دولة فتية كانت تبحث عن استرجاع هويتها. وفي نفس الوقت معرفة دينية تقديمية بمعنى أنها كانت تريد أن تكون هذه المعرفة متوافقة مع مشروع الدولة التحديثي للمجتمع في سبعينيات القرن الماضي، الذي كان يراى له أن يصنع دولة حديثة صناعية و تقديمية. وفي الأخير كانت هذه المعرفة توافقية، و هذه الخاصية تجدها أصلا في طبيعة إيديولوجية الدولة البعثية التي كانت تتوجس من الاختلافات.

يعتبر هذا المدخل لفهم ملتقيات الفكر الإسلامي من خلال شكل المعرفة الدينية المنتجة فيه، مدخلا الى جانب مداخل أخرى ممكنة لمقاربة هذه التظاهرة. ولعله من نافلة القول التأكيد على ضرورة إعادة ادراج هذه التظاهر الدينية الثقافية في سياقها التاريخي والسياسي والثقافي لفهمها وفهم مضمون ونوع المعارف المنتجة فيها.

نظمت هذه الملتقيات سنوات قليلة بعد استعادة الجزائر لاستقلالها، فنحن إذا في مرحلة تاريخية إشكاليات كبيرة في هذه الدولة، الكثير اهمها: بناء الدولة الوطنية الجامعة واسترجاع الهوية الوطنية الجامعة ، وانشاء السردية الوطنية.

ترك هذا السياق أثره على مضمون ومواضيع مداخلات ملتقيات الفكر الإسلامي وقد برز الطابع الوطني و الهوياتي لهذا المضمون بشكل أساسي في المداخلات التاريخية الممجدة لتاريخ الاسلام بشكل عام و لتاريخ الجزائر أثناء مواجهة الاستعمار بشكل خاص مع إبراز دور الدين المحوري في تاريخ الجزائر ، و كمكون رئيسي في الهوية الوطنية.

كما برز هذا الطابع الوطني الهوياتي في المداخلات المتعلقة بضرورة استرجاع اللغة العربية لمكانتها في الجزائر ما بعد الاستقلال.

وبعيدا عن هذه المداخلات ومضامينها تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن حرص المنظمين على إقامة الملتقيات في كل دوره في مدينة جزائرية مختلفة تصب في اتجاه التأكيد على البعد، المحلي بصفته مكون رئيسي في الهوية الوطنية. الجامعه. لقد نظمت هذه الملتقيات في مدن مختلفة مثل تمنراست وعنابة ووهران وبجاية.

دخلت الجزائر ابتداء من سبعينيات القرن الماضي في مشروع تحديثي طموح على المستوى الصناعي والثقافي في اطار ايدولوجي عالم ثالثي ثورية وقد ترك هذا المشروع المجتمعي والسياسي اثره على المداخلات فجاءت خاصة في الفترة ما بين 1970 و 1980 ولا سيما الكلمات المفتاحية والختامية. يمكن رصد هذا المضمون التحديثي والعالم ثالثي المتناغم مع مشروع الدولة الجزائرية في مجالين أساسيين:

مجال الطابع الثوري العالم الثالثي في الاسلام مع التأكيد على ضرورة فهم الإسلام كمنظومة قيمية وسياسية تشارك التوجه الثوري في العالم في ضرورة الوحدة ومواجهة القوى الاستعمارية الكبرى لاسيما ما كان يعرف آنذاك بالاستعمار الجديد والإمبريالية العالمية.

التصنيع والتحديد كواجب وطني وديني لإنقاذ المسلمين من التخلف و الانحطاط، و يلتقي في هذه النقطة خطاب الإصلاح المناادي بضرورة العمل على نهضة الأمة الإسلامية اقتصاديا و اجتماعيا مع خطاب النخبة اليسارية المنخرطة في مشروع التحديث و التصنيع .

الختامة:

لقد كانت ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر، التي استمرت بين عامي 1968 و 1990، حدثاً ثقافياً وفكرياً بالغ الأهمية، حيث شكلت ملتقيات تجمع بين المفكرين والباحثين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وناقشت قضايا فكرية ودينية متنوعة كانت تعكس التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في عصورها الحديثة. من خلال تحليل محاضرات هذه الملتقيات المنشورة في مجلة الأصالة، يمكننا ملاحظة تأثيرها العميق على الحقل الديني والثقافي في الجزائر خاصة والعالم الإسلامي عامة.

تأثر المشاركون في هذه الملتقيات بالتحولات السياسية والاجتماعية التي شهدتها الجزائر في فترة ما بعد الاستقلال، حيث تصاعدت أهمية الدين في مواجهة التحديات الثقافية والسياسية، خصوصًا مع تأثيرات الحداثة الغربية ومشاريع التحديث السياسي التي سادت في البلاد. وقد تركزت المواضيع المتناولة حول قضايا أساسية مثل الهوية الإسلامية، قضايا التجديد الديني، وضع المسلمين في العالم، بالإضافة إلى قضايا المرأة والشباب، مما يعكس ضرورة إيجاد توازن بين المحافظة على الهوية الإسلامية والتراث وبين استجابة متطلبات العصر.

من خلال هذا السياق، كانت الملتقيات بمثابة منصة حوارية بين مختلف المدارس الفكرية الإسلامية، التي ساعدت على نشر ثقافة الصحة الإسلامية التي نمت بشكل ملحوظ في الجزائر في الثمانينيات. ومع دخول الحركة الإسلامية في صراع فكري مع الأنظمة السياسية المختلفة، خصوصًا مع التحولات التي شهدتها البلاد في أواخر السبعينات والثمانينات، أصبحت هذه الملتقيات معقلًا للفكر الإسلامي الإصلاحي الذي جمع بين الدعوة للتجديد الديني وبين الحفاظ على أصالة الهوية الإسلامية. وبالختام، لا يمكننا إلا أن نؤكد أن هذه الملتقيات كانت أكثر من مجرد حدث فكري بل كانت جزءًا من التحولات العميقة التي مر بها المجتمع الجزائري، وأثرًا بالغًا في تطور الفكر الإسلامي المعاصر في الجزائر والعالم الإسلامي. على الرغم من توقف الملتقيات في عام 1990، فإن تأثيراتها ما زالت حاضرة في الثقافة الفكرية والدينية للجزائر، وتستمر في التأثير على النخبة الإسلامية والجيل الجديد الذي نشأ تحت تأثيرها.

1. الأعمال الكاملة لملتقيات الفكر الإسلامي، من 1979 إلى سنة 1990.
2. بغداد، محمد. (2010). إنتاج النخب الدينية في الجزائر. الجزائر: دار الوعي للنشر والتوزيع.
3. عروس، الزبير. (1991/1992). في بعض قضايا المنهج وتاريخ الحركة الإسلامية بالجزائر. مجلة نقد، العدد الأول.
4. بريون، فوزية. (2010). مالك بن نبي: عصره وحياته ونظريته في الحضارة (ط. 1). دمشق: دار الفكر.
5. عروس، الزبير. (2006). الجمعيات ذات التوجهات الإسلامية في الجزائر. القاهرة: مركز البحوث العربية والإفريقية.
6. Bourdieu, P. (2000). *Le déracinement*. Paris: Seuil.
7. Charef, A. (1995). *Algérie: le grand dérapage*. La Tour d'Aigues: Éd. de l'Aube.
8. Fregosi, F. (1992). Islam et État en Algérie. Du gallicanisme au fondamentalisme d'État. *Revue du monde musulman et de la Méditerranée*, 65(1), 61–76.
9. Gellner, E., Vatin, J.-C., Hammoudi, A., & Centre de recherches et d'études sur les sociétés méditerranéennes (Eds.). (1981). *Islam et politique au Maghreb: table ronde du CRESM, Aix, juin 1979*.
10. Guerid, D. (2007). *L'exception algérienne: la modernisation à l'épreuve de la société*. Alger: Casbah Éd.
11. Merad, A. (1967). *Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940; essai d'histoire religieuse et sociale*. Paris: Mouton & Co.
12. Paillé, P., & Mucchielli, A. (2012). *L'analyse qualitative en sciences humaines et sociales* (3e éd.). Paris: A. Colin.
13. Roy, O. (1992). *L'échec de l'islam politique*. Paris: Ed. du Seuil.